العرب
السبت 2019/08/03
السنة 42 العدد 11427

«لا» فيلم مغربي يسطر ملحمة الرفض المطلق لكلمة «نعم»

روائي قصير يتمرد على التقاليد البالية ويثير قضايا العنف الجسدي

الفن السابع هو صاحب العصا السحرية بين الفنون المعاصرة، فهو كاميرا الحقيقة وعيون الواقع المبصرة، وهو سبيل البشر إلى بث آلامهم وإيصال صرخاتهم إلى العالم على نطاق واسع بلغة الصورة الحية النابضة، ومن هناك تفاعل جمهور الفن السابع بالعاصمة المصرية القاهرة مؤخرا مع العرض الخاص للفيلم المغربي الروائي القصير "لا" الذي أتت فيه كلمة لا "لازمة" الفيلم، وعنوانه، ومفتاحه.

انتهاك براءة الطفولة

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – في قالب اجتماعي مشحون بالمرارة، قدّم الفيلم المغربي الروائي القصير "لا" معالجة درامية تنتقد الواقع المحلي وتعري أوضاع البشر في بيئات شعبية محكومة بالتقاليد والعادات الموروثة، ملقيا الضوء على قضايا إنسانية شائكة، على رأسها العنف والقهر والانتهاك الجسدي.

والفيلم المغربي الروائي القصير "لا"، عرض مؤخرا بالقاهرة ضمن برنامج عروض سينما دول البحر المتوسط في الأسبوع الأخير من كل شهر بقاعة الهناجر في دار الأوبرا المصرية.

وانطلق فيلم "لا"، من إخراج دمنة بونعيلات وسيناريو كليلة بونعيلات وتصوير هشام آيت علي، من قضايا الواقع بشكل مباشر، حيث جاء بالكامل بمثابة صيحة اعتراض على ما يجري على الأرض، وملحمة رفض وتمرد على السلطة بكل أشكالها القاهرة، التي تُترجم عادة إلى عقد نفسية وصدمات داخلية وانتهاكات بدنية.

> فيلم «لا» يقدم معالجة درامية تنتقد الواقع وتتقصى آثار الصدمات النفسية لدى الأطفال جراء القهر والانتهاك والحرمان

ونجح الفيلم في تصوير الحياة القروية البسيطة في المغرب بحساسية وبراعة وفنيات عالية استحق عنها تقدير مهرجان الإسكندرية السينمائي في العام الماضي، واعتمدت المعالجة الدرامية على التشريح الذاتي والغوص في الأعماق الإنسانية واسترجاع شريط الذكريات ومزجه بالحاضر عبر تقنيات متطورة في الكتابة والتصوير والتمثيل، ورسم مسارا إنسانيا مقنعا لدفع قضايا العنف والقهر والتسلط والانتهاك إلى الواجهة، والانتصار لحرية الإنسان وكرامته.

الأبوة والذكورية

في دقائق قليلة مكثفة، لا تتجاوز ربع ساعة، فجّر فيلم "لا" سلسلة من القضايا الاجتماعية والإنسانية التي مضت تتسع تدريجيا كدوائر الدوامات من الحيز الخاص إلى العام، عبر صورة سينمائية جيدة، وأداء تمثيلي متميز، وهو ما أكسب العمل قدرة على التواصل وطرح رسائله المؤثرة على نطاق واسع.

واعتمد الفيلم أبجديات الحركة ولغة الكاميرا والمؤثرات البصرية والموسيقية والصوتية في المقام الأول، ولم يعتمد كثيرا على الحوار الدائر باللهجة الدارجة، المترجم إلى الإنكليزية في شريط الفيلم، فلم تكن الفكرة الأساسية والمواقف والمشاهد السريعة المضغوطة بحاجة إلى شروح إضافية.

جاءت لحظة زواج بطل الفيلم، الشاب علي، من إحدى الفتيات في القرية (على غير إرادته وإرادتها) نقطة انطلاق لتحريك الأحداث وتفجير قضايا الاستقلالية والحريات التي تشغل الإنسان بوجه عام، ذكرا كان أو أنثى، وتشكّل قيودا وأعباء مضاعفة في البيئة الشعبية المحكومة بالأفكار الذكورية والسلطة الأبوية.

ونقل الفيلم بأمانة وشفافية طبيعة الحياة في القرية الصغيرة، التي لا يمكن الانفلات من تقاليدها الموروثة، فالأب يجبر ابنه على الزواج، وإلاّ تعرض الابن للانتقاد والتوبيخ والطعن في رجولته وربما الاتهام بالشذوذ، والعروس لا تجرؤ على الرفض هي الأخرى على الرغم من عدم قناعتها بالزوج الذي اختير لها دون استشارتها.

ومع تصاعد الأحداث في سياق حفل الزفاف الدائر على مدار الفيلم بزغاريده وطبوله وأهازيجه الفلكلورية، التي نقلت جوانب فنية لافتة للاحتفالات الشعبية المغربية، كشف العمل مكامن الألم والمعاناة في نفوس الرجال والنساء على السواء داخل البيئة الأبوية، ومن أكثر المشاهد جرأة وانتقادا للواقع تصوير لحظة فض بكارة العروس بطريقة وحشية بحضور نساء القرية، وإشهار منديل عفتها الملطخ بالدماء على رؤوس الأشهاد، بما يشكل المعنى الكامل للفضح والانتهاك.

اتخذ الفيلم من النزعة الأبوية البطريركية والإفراط في تصوير السيطرة الأبوية رمزا لإبراز جوانب السلطة المهيمنة على حياة الأفراد بشكل عام، فلا أحد يمتلك الفكاك من القوى الفوقية الحاكمة، التي ترسم الخطوات وتخطّط المصائر وتحرم البشر الاختيار واتخاذ القرار.

وتكرّرت مفردة "لا" على لسان البطل عشرات المرات، فكانت "لازمة" الفيلم، وعنوانه، ومفتاحه، لكن الذي دار على الأرض في حقيقة الأمر من الألف إلى الياء هو "نعم"، فلم يتمكن أحد من تغيير سيناريو القهر المفروض، الأمر الذي أوصل الشاب في النهاية إلى أزمة نفسية، انتهت بقتله عروسه في ليلة العرس.

لعنة الماضي

أبدع ممثلو الفيلم، ومنهم: عبدالرحيم المنياري، فاطمة وشاي، عبدالسلام البوحسيني، فاطمة الزهراء بناصر وسعاد الزواني، في تجسيد الشخصيات الريفية في القرية المغربية ببساطة وتلقائية، وكأن الفيلم تسجيلي وليس روائيا، وجاء الأداء الجسدي بالنظرات والقسمات ولغة العيون مرهفا معبرا إلى أبعد الحدود، كما في لحظة رضوخ الشاب علي لسلطة الأب وتوقيعه على عقد الزواج، وفي لقاء العروسين في غرفة النوم للمرة الأولى، وحال اعتداء الشاب على عروسه وقتلها في المشهد الختامي.

وأسهم التكثيف في بلورة فكرة الفيلم، وإبراز القدرات الخاصة لعناصره الفنية من إخراج وتصوير وتمثيل وموسيقى مصاحبة للأحداث المتلاحقة المتطورة، وبلغ الفيلم مبتغاه في نقل المتفرج إلى داخل البيئة المحلية الشعبية في حالة معايشة كاملة، بالصوت والصورة والحركة والمشاعر المتأججة.

واشتغل العمل، فنيا وتقنيا، على لعبة الزمن، من خلال استرجاع أحداث الطفولة في ذاكرة الشاب، ليتّضح تدريجيا سبب رفضه الزواج بشكل عام، وليس من هذه العروس على وجه التحديد، إذ تعرّض في صباه للاغتصاب من امرأة لعوب، بما سبب له صدمة مهولة وعقدة نفسية جعلته يرى صورة هذه المرأة في كل النساء من حوله.

وبرزت العناصر السينمائية في أوضح تجلياتها من خلال هذا المزج بين الحاضر والماضي، والتداخل بين شخصية الشاب وشخصية الطفل (الشاب في طفولته)، وكذلك بين شخصيتي العروس والمرأة اللعوب، فكأن الفيلم انقسم إلى فيلمين معا في الوقت ذاته، ومن خلال المقارنة بينهما وبلورة المفارقات تصل الإثارة إلى منتهاها وتتصاعد الأحداث إلى ذروتها، حيث يطبق الشاب على عنق عروسه ويقتلها خنقا وهو يصيح "لا"، ويسقط في غيبوبته ومرضه النفسي العنيف.

لقد جسّد فيلم "لا" إرادة التمرد والاحتجاج لفظيا على مدار شريطه كرغبة إنسانية ملحّة، لكن إرادة الواقع فرضت كلمتها، فلا مجال لمخالفة السائد إلاّ بالموت أو الانتحار أو الجريمة أو السقوط في أسر المرض القاتل.

رضا ذيب.. فنان تونسي يمشي مطاردا الأفق

تحيلنا الفنون البصرية المعاصرة مع تطوّر تكنولوجيات الاتصال وتنوّعها إلى تجارب فنية فريدة وغير مسبوقة ضمن ما يُصطلح على تسميته بالفن المفاهيمي الذي يُسائل الآني ويُربك الآتي أيضا، ومن هناك تأتي تجربة الفنان التونسي متعدد الوسائط رضا ذيب، أو الرجل الماشي، دليلا صارخا على مدى توسّع أفق الفنون المعاصرة، وهو الذي يطارد أفقه الخاص.

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس – غادر رضا ذيب العاصمة الفرنسية باريس في اتجاه مدينة سوسة التونسية في الثاني من مايو الماضي، وهي مسيرة تستغرق أربعة أشهر لهذا العارض الماشي الذي سيقطع مسافة ثلاثة آلاف كيلومتر مشيا على الأقدام، باحثا فيها عن أفقه المنشود.

ويصل الرجل الماشي إلى تونس العاصمة في الثامن من أغسطس الجاري مستكملا مراحل مشيه الأخيرة في مدينته الأم، سوسة، مرورا بالحمامات في العاشر من الشهر نفسه، وفي مدينة سوسة، يستقبله رواق "البيرو" لعرض جزء من رحلته الشيقة وذلك يوم الثالث عشر من أغسطس، إلاّ أن العرض النهائي سيتخذ شكله المكتمل في شهر سبتمبر المقبل بـرواق "المعهد الفرنسي" بتونس العاصمة.

وتصوّر هذه التجربة الفنية همزة وصل تربط فرنسا بتونس، حيث يتبنى الفنان التونسي متعدد الوسائط رضا ذيب هذا التلاقح بين شمال المتوسط وجنوبه بصفته يحمل الجنسيتين التونسية والفرنسية، والعرض في حد ذاته تعبيرة فنية عن هذا الرابط.

ومن هناك يعيد ذيب بواسطة هاتفه الذكي تصوير خطوط "آفاقه" على مدى 107 مراحل، ففي كل مرحلة يأخذ صورة للأفق المنشود عبر تطبيقة بوصلة تعمل بتقنية الواقع المعزّز، ويرسل هذه الصور في الوقت ذاته إلى المعهد الفرنسي بتونس على شكل بطاقات بريدية، كذلك بفضل تطبيقة أخرى تتولى يوميا طباعة وتوزيع هذه البطاقات ثم تعرض بالتوازي، إنها مجموعة الصور التي ستكون في النهاية الخط المتواصل لـ"الأفق".

وتم تصميم هذا المشروع بالشراكة مع المعهد الفرنسي بتونس وبدعم من المنظمات والمؤسسات الفرنسية، وهو يتناول إشكالية رئيسية تدور حول سؤال أساسي: ما الذي يمكن للخط أن يفعله؟ أو بعبارة أخرى، ما هي الإمكانات التشكيلية لأثر مفتوح أو تجريدي؟ وللقيام بذلك، يقول رضا ذيب مجيبا عن السؤال "اخترت الخط من خلال علاقته بالسطح والإيماءة والحركة، جرّبت تفاعله مع الهواء والضوء، واستكشفت إمكاناته لثني وربط وتوليد أنسجة متنوعة، أسائل قدراته التعبيرية بين الخيط والأثر، وبما أن خطوة واحدة تفصل الخط المرسوم عن الخط الممشي، فمن الطبيعي أن أكون قد انسبت في خط الهروب.. وعندها أكون قد فقدت بعضا من حجمي، لذلك عليّ أن أتحرّك لأحتل المجال".

ويضيف شارحا "في هذا الخضم يفرض السؤال حول البعد المتحوّل للخط، نفسه، وتحديدا حول تحوّل رقمي جذري للخط وعلاقته بالجسد، نتيجة سببيّة أتساءل من خلالها مرة أخرى: كيف يمكن خلق تهجين إيقاعي؟ كيف أقيم ورشة وأنا أمشي؟". ومن خلال هذا المنظور تسلّح ذيب بهاتفه الذكي، وعنه يقول "أداة أستخدمها لعدة أغراض منها التخطيط والأرشفة، ثم مشيت.. ومشيت.. أنا مرسوم كالخط إذن أنا أخط".

> رضا ذيب يعيد بواسطة هاتفه الذكي تصوير خطوط «آفاقه» على مدى 107 مراحل، تمتد من باريس إلى سوسة

وولد رضا ذيب بمدينة سوسة سنة 1966، وتخرج من مدرسة الفنون الجميلة في تولون، وهو مقيم في باريس منذ العام 1991.

وكان الرسم لفترة طويلة وسيطه المفضّل، لكنه ومنذ خمسة عشر عاما بدأ الاشتغال بمجال الأبحاث التشكيلية حيث الإشكالية الرئيسية هي "تحرير" خط المساحة.

وفي البداية، أخذ الفنان التونسي مسدسا لاصقا واستخدمه عكس طريقة الاستعمال، وعن التجربة يقول "مع هذه الأداة، لم يكن الأمر متعلقا بإلصاق المواد، بل بالأحرى اقتلاع المادة وتحريرها".

والتحرّر من الحدود نحو حريّة الآفاق وتنوّع الأفق ثيمات مُتلازمة عند الفنان التونسي-الفرنسي الذي كان ولا يزال يسائل الراهن وقيوده وشروطه وقوانينه غير العابرة للقارات بعين طفل حالم وحامل لرسالة إنسانية، مفادها "أن تمشي، يعني أنك حر، وأنك حر يعني أنك موجود".

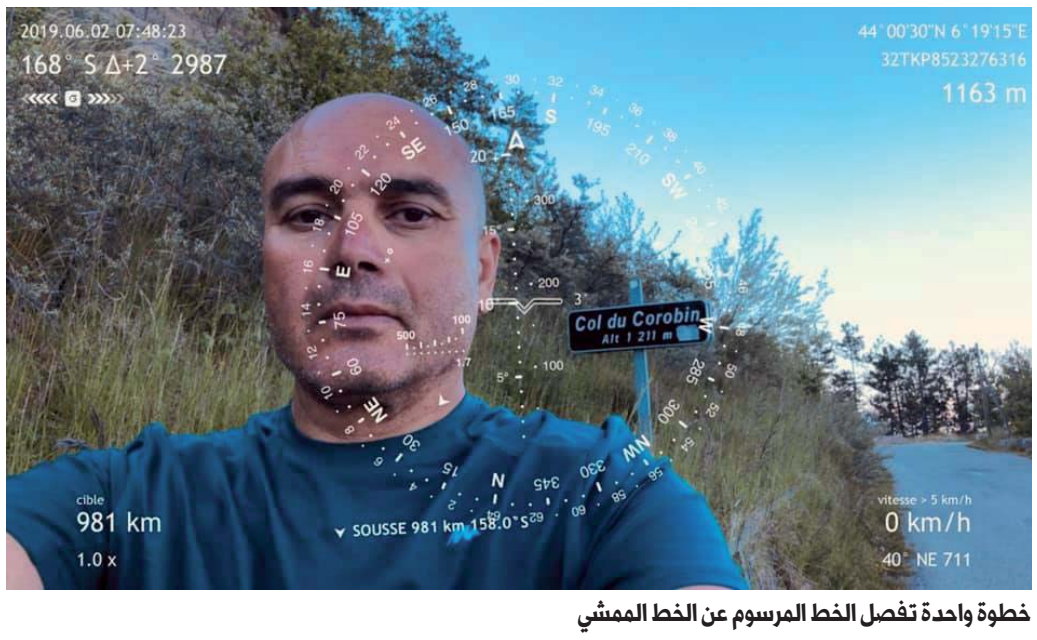

خطوة واحدة تفصل الخط المرسوم عن الخط الممشي

«إبداع لا ينضب» كتاب بصري عن فناني مكة وجدة

الرياض – من المقرّر أن تصدر أكاديمية جدة للفنون وبرعاية جامعة الأعمال والتكنولوجيا بجدة ودعم من عبدالله دحلان، قريبا، كتاب "إبداع لا ينضب – الفن التشكيلي المعاصر في مكة المكرمة وجدة" وهو من تأليف الفنانين هشام بنجابي والناقد التشكيلي أحمد فلمبان.

ويعتبر كتابا بصريًا مصوّرا يحتوي على 700 صفحة ويلقي الضوء على المبدعين التشكيليين في مكة وجدة، حيث تم تقسيمهم إلى مجموعتين، تضم المجموعة الأولى 23 فنانا ظهروا في مرحلة التأسيس وواكبوا بواكير المعارض ومرحلة ما قبل الطفرة.

أما المجموعة الثانية فتضم 114 فنانا، تم اختيارهم من بين 730 اسما بتزكية أحد النقاد الإيطاليين، والذين ظهروا في منتصف تسعينات القرن الماضي.

واعتمد المؤلفان في ترتيب الأسماء الطريقة الأبجدية وقدّما إضاءة شاملة لسير الفنانين الذاتية، وسردا أهم الأحداث في مسيرتهم الفنية دون الأخذ في الاعتبار التسميات والألقاب الباذخة، بالإضافة إلى عرض مجموعة من أعمالهم الفنية وقراءة افتراضية لها.

ويعتبر هشام بنجابي واضع الكتاب مع مواطنه أحمد فلمبان من أكثر الأشخاص الذين أثروا في الفن التشكيلي السعودي بالكثير من الأعمال المتميزة، إلى جانب مجهوداته التي يسعى من خلالها لنشر الفنون وتنظيم دورات ونشاطات فنيه والاهتمام بالمواهب الشابة ودعمهم وتنظيم معارض لهم.